

القسم الثاني

في الحديث الشريف والسيرة النبوية

كما في القرآن الكريم الذي أعطى أمة الإسلام الخيرية ، وبين لها طريقها الذي تسلكه لتحافظ على خيريتها ، وتحافظ على وسطيتها ، كما تقدم في القسم الأول ، فإن الرسول ﷺ قد كشف الله تعالى بصيرته وأراه ما سيكون في أمته ، فتحدث الرسول ﷺ بالبيان الواضح عن هذه الأمة ، وما ستصير إليه من رفعة وفتن ، وتخلف ونهوض وسيادة وقهر ، وفي أبواب الحديث الشريف الكثير من الأخبار عن هذا ، وكلها تدل على استمرارية خيرية أمة الإسلام ، وأنها الوحيدة المميزة بالخيرية والوسطية بين الأمم ، وكذلك استمراريته لاستمرارية حفظ القرآن من الله عز وجل ، والذي هو النبراس والدستور والموصوف بالحفظ والكرم والعظمة ، والبعد عن التحريف كما أنزله الله تعالى ، وهذه الأحاديث بحملها تعطي صوراً واضحة لما سيحل بهذه الأمة ، وتصفح الفترة الزمنية بين الأخبار عن الأحداث واليوم نجد أنها وقعت بحلول آجالها المرتبطة بإرادة الله تعالى ، ونرجو في هذا المقام أن نوفق إلى الوقوف عند هذه الأحداث وما ارتبطت بذكر الرسول ﷺ لها .

في حديث ثوبان الذي رواه مسلم ، يقول الرسول ﷺ : " إن الله زوى لي الأرض - أي ضمها لي - فرأيت مشارقتها ومغارها ، وإن أممي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها" (١) .

فسيبلغ ملك هذه الأمة ما زوى للرسول ﷺ منها ، وهو رأى مشارقتها ومغارها ، وحتى الآن لم يحصل ذلك (٢) .

ويقول الرسول ﷺ : " ليلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ، ولا يترك الله بيت مدر (٣) ولا وبر إلا أدخل الله هذا الدين يعز عزيز أو ذل ذليل ، عزاً يعز الله به الإسلام ، وذلاً يذل به الكفر " (٤) .

(١) أخرجه مسلم في كتاب الفتن ١٨ / ١٣ .

(٢) الفyi أنه لم يحصل ذلك خطأ . الصواب أنه لم يتحقق كل ذلك لأن أمة الإسلام كما بنا قد امتدت إلى أكثر من ثلثي الأرض ، وثلث الباقي لها به وجود .

(٣) المدر جمع مدرة وهي : البنية تصنع من الطين المتناسك ، ويكنى به أهل المدن ، وهم الحاضرة ، والوبر هو شعر الإبل ، ويكنى به أهل البادية لأن بروتهم تصنع من الوبر . فعني الحديث أن الإسلام سيبلغ الحاضرة والبادية " انظر : لسان العرب مادتي مدر ووبر ، والنهاية في غريب الحديث .

(٤) المسند ٤ / ١٠٣ ، ٦ / ١٠٤ .

- عن ابن قبييل قال : كنا عند عبد الله بن عمرو بن العاص ، وسُئِلَ أي المدينتين تفتتح أولاً القسطنطينية أم رومية ؟ ، فدعى عبد الله بصندوق له حلق قال : فأخرج منه كتاباً فقال عبد الله : بينما نحن حول رسول الله ﷺ نكتب ، إذ سُئِلَ رسول الله ﷺ أي المدينتين تفتتح أولاً القسطنطينية أم رومية ؟ فقال الرسول ﷺ : " مدينة هرقل تفتتح أولاً أي القسطنطينية " (١) . يقول : " تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها ثم تكون خلافة على منهاج النبوة ، فتكون ما شاء الله أن تكون ، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ، ثم تكون ملكاً عاضاً فتكون ما شاء الله أن تكون ، ثم يرفعها إن شاء أن يرفعها ، ثم تكون ملكاً جبرياً فتكون ما شاء الله أن تكون ، ثم يرفعها إن شاء أن يرفعها ، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة - ثم سكت - " (٢) .

وهذا هو الشاهد " ثم تكون خلافة على منهاج النبوة ثم سكت " ، وبعض الناس يظن أن قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة : ٣٣] ، أن ذلك قد تم وانتهى ، ولئن يتكرر بعد ، وهذا خطأ . لما في الحديث الذي ترويه عائشة : قال رسول الله ﷺ : " لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد السلات والعزى " . فقالت عائشة : يا رسول الله إن كنت لأظن حين أنزل الله : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة : ٣٣] . أن ذلك تام- أي أن ذلك قد تم .. قال : " وإنه سيكون من ذلك ما شاء الله " (٣) .

عن عمرو بن أخطب قال : صلى بنا رسول الله ﷺ الفجر وصعد المنبر فخطبنا حتى حضرت الظهر ، فترل فصلى ، ثم صعد المنبر ، فخطبنا حتى حضرت العصر ، ثم نزل فصلى ، ثم صعد المنبر ، فخطبنا حتى غربت الشمس ، وأخبرنا ما كان وبما هو كائن ، فأعلمنا أحفظنا (٤) . هذا الحديث يدل دلالة واضحة على أن النبي ﷺ قد أخبر أصحابه بما سيكون ، وبما سيكون لأمته في هذا الشأن ، كما أنه ﷺ قد رأى ملك المسلمين وإلى أي مدى سيصلون ، رأى الفتن التي وقعت بينهم وذكرها في حديثه ﷺ .

(١) رواد أحمد ١٧٦/٢ .

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند ج ٤ / ٢٧٣ .

(٣) أخرجه أحمد في المسند ٢٧٨ / ٥ - ٢٨٤ معناه ولفظه : " لا تقوم الساعة حتى يلحق قبائل من أمية بالمشركين ، حتى تعبد قبائل من أمية الأوثان " . انظر : الفتح الرباني ٢٤ / ٣٦ . وقال : رواه مسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه وقال الترمذي : حسن صحيح . وانظر أحاديث السلسلة الصحيحة ١ / ٦ من كتيب الهزيمة النفسية عند المسلمين د. عبدالله الحاطر .

(٤) مسلم (٢٥ / ٢٨٩٢) .

عن ثوبان قال : قال رسول الله ﷺ : " إن الله زوى لي الأرض فأريت مشارقتها ومغارها ، وإن أمي سبيلغ ملكها ما زوي لي منها . وأعطيت الكثيرين الأحمر والأبيض ، وإن سألني ربي لأمني ألا يهلكها بسنة عامة ، وألا يسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم ، فيستبيح بعضهم بعضاً ، وإن ربي قال : يا محمد إن إذا قضيت قضاءً فإنه لا يرد ، وإن أعطيتك لأمتك ألا أهللكم بسنة عامة ، وألا أسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم ، فيستبيح بعضهم بعضاً ، ولو اجتمع عليهم من أقطارها ، أو قال من بين أقطارها ، حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً ، ويسبي بعضهم بعضاً " (١) .

- وعن حذيفة بن اليمان قال : أخبرني رسول الله ﷺ بما هو كائن إلى أن تقوم الساعة ، فما منه شيء إلا وقد سألته إلا أنني لم أسأله ما يخرج أهل المدينة من المدينة (٢) .

- عن نافع بن عتبة قال : كنا مع رسول الله ﷺ في غزوة ، قال : فأتى النبي ﷺ قوم من قبل المغرب ، عليهم ثياب صوف ، فوافقوه عند أكمة فأهم لقيام ورسول الله ﷺ قاعداً . قال : فقالت لي نفسي : اتهم فقم بينهم وبينه لا يغتالونه . قال : ثم قلت : لعله نجى معهم .. ؟ فأتيتهم فقممت بينه وبينهم . قال : فحفظت منه أربع كلمات . أعدهن في يدي ، قال : " تغزون جزيرة العرب فيفتحها الله . ثم فارس فيفتحها الله . ثم تغزون الروم فيفتحها الله ، ثم تغزون الدجال فيفتحها الله " . قال : فقال نافع : يا جابر ألا نرى الدجال حتى تفتح الروم ؟ (٣) .

ولا يمكن أن تحصى أحاديث الرسول ﷺ في باب تمكين أمته من الدنيا ، وسيادتها على من عاداها ، ودخول أقوام ما كان يعلمهم الناس ، أو أنهم تواصلوا معهم أو عرفوا عنهم شيئاً ، حتى أولئك الذين كانوا سادة في الدنيا وقتها .

عن عدي بن حاتم (٤) قال : دخلت على رسول الله ﷺ فقال : " يا عدي أسلم تسلم " فقلت : إني من أهل دين . قال : " أنا أعلم بدينك منك " ثم قال : " إني أعلم ما يمنعك عن الإسلام ، تقول : إنما اتبعه ضعفة الناس ومن لا قوة له . وقد رمتهم العرب أتعرف الحيرة ؟ " قلت : لم أرها وقد سمعت بها . قال : " فوالذي نفسي بيده لبيتن هذا الأمر ، حتى تخرج الظعينة من الحيرة حتى تطوف بالبيت من غير حوار أحد ، ولتفتحن كنوز كسرى بن هرمز " ، قلت :

(١) رواه مسلم (١٩/٢٨٨٩) .

(٢) انظر به مسلم (٢٢/٢٨٩١) .

(٣) مسلم (٣٨/٢٩٥) .

(٤) عدي بن حاتم الطائي ابن الكرم المشهور الذي عرف عند العرب بكرمه ، وسارت بأخباره الركبان كان سيد قومه بعد أبيه ، وكانت طيغ قبيلتهم قد تنصرت في الجاهلية ، أسلم بعد أن أكرم رسول الله ﷺ أمته بعد أن أسرت في حنين وأطلق سراحها ، فذهبت وطلبت من أخيها أن يسلم ، فجاء مسلماً إلى رسول الله ﷺ ودخلت قبيلته الإسلام ، وصاحب رسول الله ﷺ وروى عنه كثيراً .

كسرى بن هرمز .. ؟! قال : " نعم كسرى بن هرمز ، وليبدلن المال حتى لا يقبله أحد " ، قال عدي : فهذه الظعينة تخرج من الحيرة فتطوف بالبيت من غير جوار أحد ، ولقد كنت فيمن فتح كنوز كسرى بن هرمز .. والذي نفسي بيده لتكونن الثالثة لأن رسول الله ﷺ قالها ^(١) .

ولقد تحصلت الثالثة أيضاً ، فلم يجد المسلمون في أرض الإسلام التي امتدت بزمن الوليد بن عبد الملك من الأندلس إلى الصين إلى أواسط آسيا في زمن الخليفة عمر بن عبد العزيز من يقبل الصدقة ، أو يأخذها ، أو يحرص عليها . عدا الغني الذي أصاب الناس وكفاهم الله تعالى ؛ فإنه قد خرج من قلبهم الجشع والطمع أيضاً ، ولم يدع أحد أنه بحاجة إلى المال .

قال تعالى : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يُعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٥٥) ﴾ [النور] .

يقول ابن كثير : هذا وعد الله تعالى لرسوله ﷺ فإنه سيجعل أمته خلفاء الأرض ، أي أئمة الناس والولاية عليهم ، وهم تصلح البلاد وتخضع لهم العباد ، وليبدلنهم بعد خوفهم أمناً وحكماً فيهم ، وقد فعله تبارك وتعالى ، فإنه ﷺ لم يمض حتى فتح الله عليه مكة وخيبر والبحرين ، وسائر جزيرة العرب ، وأرض اليمن ، وأخذ الجزيرة من مجوس حجر ، ومن بعض أطراف الشام ، وهاداه هرقل ملك الروم ، وصاحب مصر واسكندرية وهو المقوقس وملوك عمان ، والنجاشي ملك الحبشة رحمه الله وأكرمه .

ثم لما مات رسول الله ﷺ ، واختار الله ما عنده من الكرامة . قام بالأمر بعده خليفته أبو بكر ﷺ ، فلم شعث ما وهي بعد موته ﷺ ، وأخذ جزيرة العرب ومهداها ، وبعث جيوش الإسلام إلى بلاد فارس صحبة خالد بن الوليد ﷺ ، وفتحوها طرفاً منها ، ولما ضاق الأمر بأمرء الشام أمر خالد بالتوجه إلى جهة الروم ، وقال كلمته المشهورة : والله لأنسين الروم وساوس الشيطان بخالد ابن الوليد . وكان قد سير جيشاً آخر صحبة أبي عبيدة بن الجراح ﷺ ومن اتبعه من الأمراء إلى أرض الشام ، وثالثاً صحبة عمرو بن العاص ﷺ إلى بلاد مصر ، ففتح الله للجيش الشامي في أيامه بصرى ودمشق ومخالفهما من بلاد حوران وما والاها .

وتوفاه الله عز وجل ، واختار له ما عنده من الكرامة ، ومن على أهل الإسلام بأن ألهم الصديق أن يستخلف عمر الفاروق ، فقام بالأمر بعده قياً تاماً ، لم يدر الفلك بعد الأنبياء على مثله في قوة سيرته ، وكمال عدله ، وضم في أيامه فتح البلاد الشامية بكاملها ، وديار مصر إلى

(١) رواه أحمد ٤ / ٢٧٥ .

آخرها ، وأكثر إقليم فارس ، وكسر كسرى ، وإهاتته غاية الهوان . وتقهقر إلى أقصى مملكته ، وقصر قيصر ، وانتزع يده عن بلاد الشام وانحدر إلى القسطنطينية ، وكان قد فتح بيت المقدس بنفسه بزيارته لها ، وأنفق أموالها في سبيل الله ، كما أخير بذلك ووعده رسول الله عليه من ربه أتم سلام وأزكى صلاة .

ثم لما كانت الدولة العثمانية - دولة عثمان بن عفان - ﷺ ، امتدت الممالك الإسلامية إلى أقاصي مشارق الأرض ومغارها ، وفتحت بلاد المغرب إلى أقصى بلاد الصين ، وقتل كسرى وباد ملكه بالكلية ، وفتحت مدائن العراق وخراسان والأهواز ، وجي الخراج من المشارق والمغرب إلى حضرة أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ ، وذلك ببركة تلاوته ودراسته وجمعه الأمة على حفظ القرآن ، ولهذا ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال : " إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغارها ، وسيلغ ملك أمي ما زوى لي منها " فها نحن نتقلب فيما وعدنا الله ورسوله ، وصدق الله ورسوله ، فسأل الله الإيمان به ورسوله ، والقيام بشكره على الوجه الذي يرضيه عنا . وهذا الوعد الإلهي للمؤمنين وعد دائم ومستمر ، وما تحقق في عهد الخلفاء الراشدين من نصر وتمكين ، يمكن أن يتحقق لمن وعدهم - الذين جاءوا من بعدهم - فإن وعد الله تعالى لا يختلف . قال تعالى : ﴿ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا (٩٨) ﴾ [الكهف] ووعد الله هنا مشروط بالإيمان وعمل الصالحات ، وعبادة الله وحده وعدم الإشراك به ^(١) . قال تعالى : ﴿ يَعْبُدُونِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ﴾ [النور : ٥٥] . ومن البشارات الكثيرة التي بشر الرسول ﷺ أمته المؤمنة المرتبطة بالإيمان والتصديق والتسليم قوله :

عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: " بشر هذه الأمة بالسنة والدين والرفعة، والتمكين في الأرض ، فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا ، لم يكن له في الآخرة من نصيب " ^(٢) .
وعندما رسم رسول الله ﷺ الطريق السليم لأمة، حذرنا من الفتن والرياء وترك أوامر الله تعالى ، والخروج عن المنهج الحق الذي رسمه القرآن، وحددته السنة في خروج الناس عن الصواب إلى الخطأ، ومن المهدي إلى الضلال. قال تعالى: ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٥٦) ﴾
﴿ وَاللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٥٧) ﴾ [البقرة] . وظهر توضيحاً وتأكيدها لهذه الآيات قول الرسول ﷺ .

(١) يوسف القرصاوي " البشارات بانتصار الإسلام - من سلسلة رسائل ترشيد الصحوة (٩) ص ١٧ فما بعد .

(٢) صحيح الإسناد . رواه أحمد ١٣٤/٥ .

عن محمود بن لبيد ، أن الرسول ﷺ قال : " إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر " ، قالوا : وما الشرك الأصغر يا رسول الله .. ؟ قال : "الرياء يقول الله عز وجل : إذا جرى بأعمالهم ، اذهبوا إلى الذين كنتم ترءون في الدنيا ، فانظروا هل تجدون عندهم جزاء " (١) .

ومن توجهاته ﷺ التأكيد الدائم على التمسك بالقرآن ، فهو المنقذ من الضلال في جميع الأوقات والأحوال ، وهو الهادي إلى السبيل في مسيرة ومآل .

وعن أبي شريح الخزازي قال : خرج علينا رسول الله ﷺ فقال : " أليس تشهدون أن لا إله إلا الله ، وأني رسول الله . ؟ " قالوا : بلى .. ! قال : " إن هذا القرآن طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم فتمسكوا به ، فإنكم لن تضلوا ، ولن تهلكوا بعده أبداً " (٢) .

وعن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه قال : خرج علينا رسول الله ﷺ مرعوباً فقال : " أطيعوني ما كنت بين أظهركم ، وعليكم بكتاب الله . حلوا حلاله ، وحرموا حرامه " (٣) .

لقد وردت أحاديث كثيرة يتحدث بها رسول الله ﷺ عن الخلفاء الراشدين المهديين الذين سيخلفونه ، وفي بعضها حدد زمانهم بثلاثين سنة وفعلاً فقد حكم الخلفاء الأربع تسعاً وعشرين سنة وستة أشهر وكانت خلافة الحسن بن علي رضي الله عنهما ستة أشهر حتى جمع الله به طائفتين من المؤمنين مختلفتين ، وقبل أن يصبح نظام الحكم ملكاً عضوداً .

وعن أبي أيوب أيضاً قال : وعظنا رسول الله ﷺ موعظة وجلت منها القلوب ، وذرفت منها العيون . فقلنا : يا رسول الله ، كأنها موعظة مودع فأوصنا .. قال : "أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد ، وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً ، فعليكم بسنتي ، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، عضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل بدعة ضلالة " (٤) .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ خطب الناس في حجة الوداع فقال : " إن الشيطان قد يئس أن يُعبدَ في أرضكم ، ولكن رضي أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحاقرتم من أعمالكم ، فاحذروا ... إني قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً ، كتاب الله وسنة نبيه .. " الحديث (٥) .

(١) أحمد ٤٢٨/٥ .

(٢) الميمني في المجمع ١٧٤/١ وقال : " رواه الطبراني في الكبير ، ورجاله رجال الصحيح " .

(٣) الميمني في المجمع ١٧٥/١ وقال : " رواه الطبراني في الكبير ، ورجاله موثقون " .

(٤) رواه الترمذي (٢٦٧٦) . وقال الترمذي : حديث حسن صحيح .

(٥) رواه أحمد ٣٦٨/٢ ، ١٢٦/٤ .

- " ومن سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء ، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها . من غير أن ينقص من أوزارهم شيء " (١) .

وفي باب الفتن التي تمر على الناس ، ولا تنجو أمة الإسلام منها باعتبارها تجمعاً من البشر . خص المحدثون باباً لأحاديث رسول الله ﷺ لذكرها ، وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يحرصون على معرفة ما سيؤول إليه حال المسلمين ، إذا هم تركوا دينهم وتخلوا عنه ، وإذا غرهم الحياة الدنيا وركضوا وراءها يتبعون عرضها الزائل ، وقد أخرج النبي ﷺ أصحابه بهذا المآل الذي سيلاقيه جيل من المسلمين ، أو أجيال منهم ، ولا نرغب هنا بمحصر ما ورد في هذا الكتاب ، فإن ما وعد الله تعالى به عباده المؤمنين في كل زمان ومكان ، وبشر النبي ﷺ به أصحابه من الرفعة والعلو والسمو والسيادة في الدنيا كان له النصيب الأوفى ، وذلك تبشيراً لهم ليكونوا مع الله تعالى قابضين على كتابه الكريم عاملين بأحكامه ، متبعين سنة المصطفى عليه السلام الذي أكد التمسك بالكتاب والسنة هو المنجي والمخلص لكل جماعة إسلامية ، لكل زمان ومكان ، بعيداً عن الضلال والغواية وأتباع أوامر الشيطان ، والضعف أمام النفس الأمارة بالسوء ؛ سواء أكان فرداً أم جماعة . ولتبقى الأمة الخيرة على درب طريق الهدى سائرة ، تبتغي فضلاً مسن الله ورحمة ونصراً وتوسعاً في الدنيا ، وقولاً للأعمال الخالصة لوجه الله .

ففي اختيار لبعض الأحاديث عن الفتن ، والتي امتلأت بها كتب الحديث ، نورد بعضاً يسيراً منها للتذكير بما سيؤول إليه حال الناس إن هم حادوا عن سنة المصطفى وحادوا أو أهملوا كتاب الله تعالى .

- عن زينب بنت جحش أم المؤمنين رضي الله عنها .. أن النبي ﷺ استيقظ من نومه وهو يقول : " لا إله إلا الله ، ويل للعرب من شر قد اقترب ، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه " وعقد سفيان بيده عشرة (٢) .

- وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما أن النبي ﷺ أشرف على أطم من أطام المدينة ثم قال : " هل ترون ما أرى ؟ إني لأرى مواقع الفتن خلال بيوتكم ، كمواقع القطر " (٣) .

(١) رواه مسلم (١٥/١٠١٧) .

(٢) رواه مسلم (١/٢٨٨٠) ، وفي حديث : وحلق بإصبعه الإهام والتي تليها قالت زينب : يا رسول الله ، أغلقت وفينا الصالحون ؟ قال : " نعم إذا كثر الخبث " .

(٣) البحارى (١٨٧٨) ، ومسلم (٩/٢٨٨٥) ، واللفظ لمسلم .

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " ستكون فنن ، القاعد فيها خير من القائم ، والقائم فيها خير من الماشي ، والماشي فيها خير من الساعي . من تشرف لها تستشرفه ، ومن وجد فيها ملجأ فليعد به " (١) .

- وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله ﷺ : " كيف بكم إذا لبتكم الفتنة ؟ يربو فيها الصغير ، ويهرم فيها الكبير ، وتتخذ سنة فإن غيرت يوماً قيل : هذا منكر ..! " قيل : ومتى ذلك ؟ قال : " إذا قلت أمنأؤكم ، وكثرت أمرأؤكم ، وقلت فقهاؤكم ، وتُفَقِّهَ لغير الدين ، والتمست الدنيا بعمل الآخرة " (٢) .

ألا نرى حال المسلمين الآن تنبئ بكل تفصيلاهما ما آل إليه حالهم ، واستمرارية هذه الفتن على أمة الإسلام فكبر بها الصغير ، وشاب بها الكبير ، أليست اليوم الملاحي لا تحوي غير المسلمين ، وانقلبت هذه الملاحي المؤقتة إلى سكن دائم ، وعمل مستمر ولو أحصينا في العالم العربي والإسلامي هذا الحال لوجدنا انتشاره في أديان الأرض وأقاصيها .. ألم ترى أجيال كاملة في هذه الملاحي .. أليست ملاحي الفلسطينيين والأفغان والشيشان والنشاط المتواصل في ظل الأمانة العامة والأمن العام للأمم المتحدة ، والمنظمات الإنسانية التي تحاول رعاية الأجيال المتلاحقة في كل مكان ؟ أليس التفقه لغير الدين ؟ أليس الأمراء قد تجاوزوا حدوداً غير معقولة ؟ ٦٤ دولة إسلامية وفي كل دولة أربع وستون حاكماً أو أميراً . أليس قراءة القرآن لا يحصون ؟ يقرؤون ولا يعملون ، أليست الدنيا هي الأمل وهي الهدف وهي التي يكبر فيها الصغار ولأجلها ، ويشيب فيها الكبار وما نالوا منها شيئاً ؟ . أليس الفقهاء والعلماء والحكماء قلة نادرة في ديار الإسلام أتصل نسبة هؤلاء السكان إلى واحد لكل مليون ؟ . والمتفهبون أكثر من يحصوا !! أليس كل التعليم في العالم الإسلامي منصب إلى علوم الدنيا - وحتى هذه لم نتقنها أو نرع فيها أو نبدع كما سبقنا السابقون منا ..؟ أليس كلام رسول الله ﷺ بحرفيته ومحتواه وروحه ومعناه قائماً الآن بيننا .. أمن الصدف أن يقول الرسول ﷺ كلاماً قبل ألف وأربعمائة سنة ونيف ونراه بكل واقعية اليوم . لسو أننا أحضرنا ألفاً .. ألفين .. عشرة آلاف من العلماء المتخصصين الآن بمختلف العلوم والمعارف والثقافات وأحوال الأمم والشعوب ، وطلبنا إليهم أن يقدموا لنا دراسات متعمقة وصحيحة عن أحوال المسلمين وأعطيناهم الوقت الكافي لاستكمال هذه الدراسات ، وتقديمها إلى المراجع

(١) الحارثي (٢٣٦٦) ، ومسلم (١٠/٢٨٨٦) ، واللفظ لمسلم .

(٢) الدر المنثور للسيوطي ١/١١٧ ، وعراه لعبد الرزاق في مصنفه .

المختصة. تمثل هذه الدراسة ، لما جاءوا باستنفاذ المدة المطلوبة منهم بأكثر من حديث الرسول ﷺ الذي أخرج أصحابه به عنا بقوله عليه السلام :

" تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة على قصعتها ..! " قالوا : أو من قلة نحن وقتها يا رسول الله ؟ قال : " لا .. إنكم كثير ، ولكنكم غثاء كغثاء السيل ينتزع الله مهابتكم من قلوب أعدائكم ، ويدخل في قلوبكم الوهن ..! " قالوا : وما الوهن يا رسول الله ..؟ قال : " حب الدنيا وكرهية الموت " (١) .

- وهذه الأحاديث التي وردت على لسان المصطفى ﷺ تحقق الكثير منها كما قال عدي بن حاتم : تحققت أمور قالها الرسول ﷺ وتحقق ما لم يكن قد حصل في زمانه - جيل الصحابة - فإنه يتحقق بعد حين .

- عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " يظهر الإسلام حتى يختلف التجار في البحر ، وحتى تخوض الخيل في سبيل الله ، ثم يظهر قوم يقرؤون القرآن . يقولون : من أقرأ منا؟ من أعلم منا ؟ من أفقه منا ؟ " ثم قال لأصحابه : " هل في أولئك من خير ؟ " قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : " أولئك منكم من هذه الأمة ، أولئك هم وقود النار " (٢) .

ومما يشبه هذا الحديث حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قام ليلة بمكة من الليل فقال : " اللهم هل بلغت؟ " (ثلاث مرات) . فقام عمر بن الخطاب - وكان أواهاً - فقال : اللهم نعم ، وحرضت ، وجهدت ، ونصحت . قال : " ليظهرن الإيمان حتى يرد الكفر إلى مواضعه، ولتخاضن البحار بالإسلام، وليأتين على الناس زمان يتعلمون فيه القرآن، يتعلمونه ويقرؤونه يقولون : قد قرأنا وعلمنا ، فمن ذا الذي هو خير منا ؟ فهل في أولئك من خير ؟ " قالوا : يا رسول الله ومن أولئك ؟ قال : " أولئك منكم ، وأولئك وقود النار " (٣) .

- وقد بين الرسول ﷺ في أحاديث كثيرة أحداثاً تحدث في المستقبل ، حدث بعضها ومازال بعضها سيحصل بإرادة الله تعالى . فقد أخرج عنها رسول الله ﷺ . تدل كلها على سيادة هذا الدين وانتشاره ، ورفعة المسلمين وعلو مكانهم ونصر الله تعالى الذي يتزل على عباده المؤمنين مع قلة عددهم وعددهم ، وكثرة عدوهم وتنوع عددهم ، واختراعهم في كل يوم الفتاك من السلاح ، والقتال من الأدوات التي وصلت إلى حد فاق تصور البشر . أليس هذا هو الإيمان الذي يحرك شعباً صغيراً هم الشيشان ، لم يتجاوز عددهم المليون في أوسع الإحصاءات ، يعلنون الحرب على روسيا

(١) أبو داود (٤٢٩٧) ، وأحمد ٥/٢٧٨ .

(٢) رواه الطبراني في الأوسط (٦٢٤٢) ، وقال الميمني في الجمع ١/١٩١ : " رواه الطبراني في الأوسط والبيزار ورجال البزار موثقون " .

(٣) الميمني في الجمع ١/١٩١ وقال : " رواه الطبراني في الكبير ، ورحاله ثقات ، إلا أن هند بنت الحارث الخثعمية التابعية ، لم أر من وثقها ولا حرجها " .

ورتبة أعظم دولة في العالم حتى عام ١٩٩٠م ، واستقلالها عن بقية المسلمين الذين كان الانحدار السوفيتي يجمعهم ، وروسيا بعد تحليها الاختياري عن عشر دول إسلامية والتي يبلغ تعداد سكانها حوالي ثلاثمائة مليون نسمة ، وتملك أكبر مساحة من الأرض بين دول العالم ، وهي إحدى الدول الخمس الدائمة العضوية في مجلس الأمن ؛ هذا المجلس الذي يتحكم بمصير العالم ، وكل همه التوفيق بين أطماع هذه الدول في بقية المعمورة ، ولو أن الولايات المتحدة قد هيمنت وحيدة على مقدرات العالم . تتصدى هذه القلة المؤمنة ١/٣٠٠ لهذه الكثرة الباغية ، ودخلت ثلاثة حروب . ظن الأقوياء أنهم أجهضوا عليها وروضوها . لكنها ما زالت تحارب وتنتصر ، وليس لها من مؤيد أو مساند أو مناصر إلا الله عز وجل .

- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " والذي نفسي بيده ليأتين على الناس زمان لا يدري القاتل في أي شيء قتل ، ولا يدري المقتول عن أي شيء قتل " ^(١) .
- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أيضاً - بما بلغ به النبي ﷺ قال : " لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوماً نعالهم الشعر " الترك ^(٢) ، ولا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوماً صغار الأعين - دلف الأنوف - ^(٣) .

- أما عن الحدث الغريب الذي تحقق بعد وفاة الرسول ﷺ فهو هزيمة الأقاليم (الروم) والأقاليم (الفرس) ، انتهت الدولة الفارسية مبكرة ، وتأخرت الدولة الرومانية حتى أُنْهت الأتراك ودخلوا عاصمتها عام ١٤٥٢م .

- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " قد مات كسرى فلا كسرى بعده ، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده ، والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله " ^(٤) .

صور النبي ﷺ مآل الناس في الدنيا والآخرة . فهو البشير النذير ، فعدا الصور المبدعة البليغة المعجزة في القرآن الكريم لأحوال الجنة والنار ، فإن الرسول ﷺ قد شرح هذه الآيات ، وبين مسا فيها من نعم للذين بُشروا في الجنة ، وما فيها من أهوال لمن صد عن ذكر الله تعالى وكفر به وبما أنزل على رسله .

(١) رواه مسلم (٥٥/٢٩٠٨) .

(٢) تاريخ الحروب بين المسلمين والشعوب التركية طويل . وتمكن المسلمون من إدخال كل الشعوب التركية في الإسلام ، الذين تحولوا لحمل هم الدين الإسلامي زهاء مائة عام حتى الوقت القريب جداً .. ولعلمهم الأكثر فوزاً في اللعبة الديمقراطية الآن بمقاعد مجالس النواب . ولقد أصابهم ما أصاب العرب من تجزئة وتخلف وهجمة العرب عليهم .

(٣) يعتبر الملايون الذين تطبق عليهم هذه الصفات يقاربون سدس المسلمين في العالم ، وكذلك الصينيون حيث يبلغ عدد المسلمين في الصين حوالي ٢٠٠ مليون ، ويشكلون ١٥% من سكان الصين .

(٤) رواه مسلم (٧٥/٢٩١٨) . ولقد أنفق المسلمون كنوزهما في سبيل الله ونرد القارئ العزيز على دراسة الحفصة التاريخية الخلافة الراشدة ، والخلافة الأموية بشيء من التفصيل .. وتحقق هذا الحديث بكل معانيه وجزئياته .

حدثنا شيبان بن فروخ .. عن خالد بن عمير العدوي قال : خطبنا عتبة بن غزوان فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد .. فإن الدنيا قد أذنت ^(١) بصرم ، وولت حذاء ^(٢) ، ولم يبق منها إلا صباية كصباية ^(٣) الإناء ، يتصاها صاحبها ، وإنكم منتقلون منها إلى دار لا زوال لها ، فانتقلوا بخير ما بحضرتكم ، فإنه قد ذكر لنا أن الحجر يلقي من شفة جهنم ، فيهوي فيها سبعين عاماً لا يدرك لها قعراً ... ووالله لتملأن .. أفعجبتكم ..؟! ولقد ذكر لنا أن ما بين مصرعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين سنة ، وليأتين عليها يوم وهي كظيظ ^(٤) (ممتلئة) من الزحام . ولقد رأيتني سابع سبعة مع رسول الله ﷺ . ما لنا من طعام إلا ورق الشجر ، حتى فرّخت أشداقنا ، فالتقطت برادة فشققتها بيني وبين سعد بن مالك فاتزرت بنصفها واتزر سعد بنصفها ، فما أصبح اليوم منا أحد إلا أميراً على مصر من الأمصار . وإني أعوذ بالله من أن أكون في نفسي عظيماً ، وعند الله صغيراً . وإنها لم تكن نبوة قط إلا تناسخت ، حتى تكون آخر عاقبتها ملكاً ، فستنجزون ، وتجربون الأمراء بعدنا ^(٥) .

- وحددت علاقة المسلمين مع غيرهم من الشعوب ، حددت مع الفرس ، ومع الروم ومع الترك ، ومع الصين، وكلها أحداث جرت مع هذه الشعوب، ودامت ردحاً طويلاً من الزمن . تحول الكثيرون إلى الإسلام ، وبقي سواهم على دينهم إذ أن الإسلام أضحى محور الحياة بعد ذلك .

فقد احتل التاريخ الإسلامي محور الحياة على الأرض في الفترة التي عرفت بالمصطلح التاريخي بالقرون الوسطى . وكان المحرك الفاعل خلال العشرة قرون ، من السابع الميلادي إلى السابع عشر من ميلاد السيد المسيح . واستأثر التاريخ الإسلامي في هذه الفترة وما تلاها كل النشاط البشري في الأرض من قوة وعلم واقتصاد ، واجتماع ، وسياسة ، واختراع . وكانت الشعوب الأخرى تنهل من هذا التاريخ ، وهذه الإنجازات في مختلف فنون المعرفة وبناء الحضارة . لم يواز هذا التاريخ أو ينافس أحد من الذين عاصروا هذه الفترة ، أو عاشوا فيها . كل من رافق هذه الفترة من قوى أخرى ، خضعت بصورة من الصور إلى قيادة المسلمين ، أو كانت متأثرة بهم ، حتى أن مجمل التفكير البشري لم يكن أكثر من تابع لما أنتجه المسلمون ، أو قدموه للإنسانية على مختلف احتياجاتها ، ومقومات حياتها واستمراريتها ^(٦) .

(١) أذنت : همزة ممدودة وفتح الذال أي : أعلنت ، والصَّرم : بالضم أي الانقطاع والذهاب .

(٢) وقوله حذاء : بجاء مهمله مفتوحة ، ثم ذال معجمة مشدودة : أي سرعة الانقطاع .

(٣) والصباية : بضم الصاد : البقية اليسيرة من الشراب تبقى في أسفل الإناء وقوله يتصاها : أي يشربها ، وقعر الشيء : أسفله .

(٤) الكظيظ : الممتلئ .

(٥) رواد مسلم (١٤/٢٩٦٧) .

(٦) من مقدمة كتاب - الوجيز في التاريخ الإسلامي - للمؤلف - قيد الطبع .

ومن الأوصاف الخيرة التي وصف الرسول ﷺ بها المؤمن ذلك القول البليغ الرائع الذي خص
وميز المسلم عن سائر البشر في القدم والحديث :

- عن صهيب قال : قال رسول الله ﷺ : " عجباُ لأمر المؤمن . إن أمره كله خير له _ وليس
ذلك لأحد إلا للمؤمن - إن أصابه سراء شكر فكان خيراً له وإن أصابته (ضراء) صبر فكان
خيراً له " (١) .

وكانت الهزائم التي لحقت اليهود في معاركهم مع الرسول ﷺ كقوة مجتمعة مسلحة : يهود بني
قينقاع بين بدر وأحد ، وبني النضير ، بين أحد والخندق ، وبني قريظة بعد الخندق ، وخيبر في
السنة السابعة للهجرة، ثم توزعهم بعد شتات في بلاد الشام ومصر وشمال أفريقيا حتى في الأندلس .
بعد أن أمر الرسول ﷺ بإخراجهم من جزيرة العرب .. وتعود اليهود على حياة الشتات والاعتقال
والاستعباد، وبروزهم مع أي مناسبة ، لكن الله تعالى حدد حالهم في صدر سورة الإسراء ، ثم
أخبرهم بقوله : ﴿ وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَاَ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا (٨) ﴾ [الإسراء] .

وذلك بعد نكباتهم التي وعدهم الله تعالى بمن ، فمن المؤرخين من يذكر وقوعهن ، ومن يذكر
واحدة منهن جرت في الماضي والثانية ستتحقق بحديث رسول الله عن العلاقة معهم في آخر
الزمان، ومن يذكر أن كليهما لم تقعا بعد ومنوطان بأعمال المسلمين . والرأي الغالب أنهما جرتا
في التاريخ القديم على يد مختصر ، وأشور بانبيال ، أو تيطس الإمبراطور الروماني لكن كتب الله
تعالى عليهم التشتت وتوعدهم بأنهم كلما عادوا إلى الفساد ، عاد الله تعالى لينتقم منهم كما في
الآية ٨ من سورة الإسراء .

لكن الرسول ﷺ أخبرنا أن حرباً ستقوم بين المسلمين واليهود قبل قيام الساعة وبقي اليهود
مشتتين في أرجاء الدنيا ، أفاصبيها وأدانيها .. إلى أن أذن الله بتجمعهم الآن وإقامة حكومة لهم ،
وعلى حساب المسلمين وأرضهم ، وقبض الله للمسلمين حكماً أذاقوهم الذل والهوان ، وهزموا -
مع كثرتهم وقوتهم على شعوبهم - أمام اليهود الذين تحولوا إلى مقاتلين بعد أن كانوا أذل أقوام
الأرض لأنه لا ينطبق عليهم كلمة شعب - فلا يملكون مقوماته - وكان ذلك تشجيعاً لمن في
الشتات للحاق بهم بالكيان اليهودي ، وحرك الله في نفوسهم - اليهود - الحقد والقتل والإرهاب
ليكسبوا عداوة الجوار من المسلمين ويعطوهم المرر الأخلاقي والديني لقتالهم . وحتى يتحقق قول
المصطفى ﷺ في أحاديث عدة منها :

(١) انفرد به مسلم والحديث ٧٤٣٦ في قصة أصحاب الأهلود والساحر والراهب والغلام ١٨ / ٣٣٠ .

المصدر : صحيح مسلم بشرح الإمام محمد بن محيي الدين النووي المسمى : المهاج شرح صحيح مسلم . تحقيق الشيخ حليل
مأمون شيحا . دار المعرفة - بيروت ١٩٩٤ م .

- عن ابن عمر رضي الله عنهما ، عن النبي ﷺ قال : " لتقاتلن اليهود فلتقتلنهم ؛ حتى يقول الحجر : يا مسلم هذا يهودي فتعال فاقتله " (١) .

وفي رواية : " تقاتلكم اليهود ، فتسلطون عليهم حتى يقول الحجر ... " .
وفي رواية : " لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود ، فيقتلهم المسلمون ، حتى يختبئ اليهود من وراء الحجر والشجر ، فيقول الحجر والشجر : يا مسلم ! يا عبد الله ! هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله ؛ إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود " .

وأحاديث أخرى في ذات المعنى عن قتال المسلمين واليهود ، وإن هذا الموعد لقادم بإذن الله تعالى - فقد قاله رسول الله ﷺ .

- يكثر الدجالون والنصابون والأدعياء ويتسلطون على عباد الله تعالى ، ويصدقهم من يصدقهم ويكذبهم من يكذبهم ، ولقد ظهر كثيرون ادعوا النبوة ، وبعضهم ادعى الألوهية ، وبعضهم ادعى .. وادعى وادعى .. وآخرون ، وما زال أتباع القادياني موجودين تظلمهم الحركة القاديانية ، وتجمعهم دول وحكومات . وفي زمننا ادعى رعي بأنه إله واتبعه خلق .. وأهله وبعض أشياعه يحكمون في بلد عربي مسلم .

- عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : " لا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله ! " (٢) .

- الرخاء والمال والأمن .. تباشير بشر بها الرسول ﷺ . ليس فقط ورود المال من الخسارج ، وغنى الفقراء من أوائل المسلمين ، وتحولهم إلى أغنياء . لكن الرسول ﷺ بشر بتغير الطبيعة في جزيرة العرب ، حيث بدأت بواشرها الآن في دول البترول في الجزيرة ، حيث إن مكافحة التصحر تشير بشكل واضح وكبير ، وأثماراً من المياه المحلاة من البحار امتدت لإرواء مدن كبيرة وكثيرة وسقاية أراضي كثيرة ، والبدء بزراعات لم تكن - نتيجة المناخ وقلة المياه - أن تعيش هذه الزراعات .. في الوقت الذي تهاجم الصحراء الأراضي الزراعية في البلاد المحيطة بالأثمار الكبيرة .. هذه التباشير تعود بجزيرة العرب إلى ما كانت عليه بحديث رسول الله ﷺ قال : عن أبي هريرة : " لا تقوم الساعة حتى تعود أرض العرب مروجاً وأثماراً " وزاد أحمد في روايته : " وحتى يسير الراكب بين العراق ومكة لا يخاف إلى ضلال الطريق " (٣) .

(١) رواد مسلم (٧٩/٢٩٢١) .

(٢) رواد مسلم (٨٤/١٥٧) .

(٣) رواد مسلم في كتاب الزكاة رقم (٦٠ / ١٠١٢) ، وأحمد (٢ / ٣٧٠ ، ٣٧١) .

- ويشير الرسول ﷺ فيما رواه أبو هريرة. أنه ﷺ قال: " لا تقوم الساعة حتى يكتر فيكم المال فيفيض، حتى يهجم رب المال من يقبله منه صدقة، ويدعى إليه الرجل فيقول لا أرب لي فيه" (١).
وعن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " ليأتين على الناس زمان يطوف الرجل فيه بالصدقة من الذهب، ثم لا يجد أحدا يأخذها منه ... " (٢).
ومثله حديث حارثة بن وهب مرفوعاً: قال ﷺ: " تصدقوا فإنه يأتي عليكم زمان يمشي الرجل بصدقته فلا يجد من يقبلها. يقول الرجل: لو جئت بها بالأمس لقبلتها، فأما اليوم فلا حاجة لي بها " (٣).

وهذا كله دليل على ظهور الرخاء، ورغد العيش، وزوال الفقر من المجتمع، بحيث لا يوجد، فيه فقير يستحق الصدقة أو يقبلها، وهذا من بركات عدل الإسلام، وأثر الإيمان والتقوى في حياة الناس. وذلك تأكيداً لقوله تعالى ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ [الأعراف: ٩٦].

إن أحداثاً في التاريخ تحققت، وبانت واضحة لمن عايشها، ولمن جاء بعد ذلك، ومن الأمثلة الكثيرة في هذا المجال في هجرة النبي ﷺ وقد لجأ إلى الغار فاختفى فيه هو وصاحبه أبو بكر، وقد بحث المشركون عنهما حتى وصلوا إلى باب الغار، وقال أبو بكر ﷺ: .. مشفقاً على النبي وعلى الدعوة الإسلامية: يا رسول الله لو نظر أحدهم موقع قدميه لرآنا، فقال الرسول ﷺ: " يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما ". وقد قص القرآن الكريم كيف نصر الله رسوله في ذلك اليوم، وبأي جند نصره. قال تعالى: ﴿ إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٤٠) ﴾ [التوبة] .

هذا مثال وأمثلة أخرى في بدر، وفي الخندق .. في فتح مكة .. وانكفاً المسلمون عندما ظنوا أن أعدادهم الكثيرة مانعتهم في غزوة حنين إذ أنبهم الله تعالى بقوله: ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَصَافَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مَّدْيَنَ (٢٥) ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ (٢٦) ثُمَّ يُتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢٧) ﴾ [التوبة] .

(١) البخاري (١٤١٢)، ومسلم (٦١/١٥٧)، واللفظ للمسلم.

(٢) البخاري (١٤١٤)، ومسلم (٥٩/١٠١٢).

(٣) البخاري (١٤١١)، ومسلم (٥٨/١٠١١)، واللفظ للبخاري.

إن التاريخ يحدثنا أن في الإسلام (قوة ذاتية) محبوة ، لا تبرز إلا عند حلول الشدائد بساحته ، وإحاطة المحن بأتمته ، فهناك نراه أصلب ما يكون عسوداً ، وأعظم ما يكون صموداً ، وأشد ما يكون قوة ، وأكثر ما يكون على تفجير الطاقة المكونة لأتمته ، وإبراز ما خبئ من قوته وقدرته ، فإذا هو يقاوم فيصمد ، بل يغالب فيغلب ، وإذا الضعف الظاهر الذي أطمع الناس قد استحال إلى قوة ، بل إلى قوة قاهرة منتصرة رأينا ذلك في فجر تاريخ الإسلام ، في يوم بدر حيث انتصرت القلة على الكثرة ، والضعف المادي على القوة ، وامتن الله على المؤمنين بقوله : ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [آل عمران] .

وقال تعالى أيضاً : ﴿ وَادْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَخْتَفِفَكُمْ النَّاسُ فَأَوَّكُمُ وَيُؤَيِّدْكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [الأنفال] .

- إن في حروب الردة عبرة في وعد الرسول ﷺ بنصرة الإسلام وانتشاره وثباته ، ولم يبق على دين الإسلام إلا المدينة المنورة ومكة المكرمة والطائف ، وعاد العرب بعد هذه المدن للحاق بأدعياء نبوة كهنة العرب ومتنفيذهم وأصحاب التأثير في الناس ، مسيلمة الكذاب ، الذي قال عنه أحد أتباعه : كذاب ربيعة أحب إلينا من صادق مضر ^(١) . وسجاح ، والأسود العنسي وطليحة الأسدي . ولحق بهم أقوامهم واتبعوهم وقاتلوا معهم ، وانضم إليهم مانعو الزكاة ؛ الذين أقروا بمبادئ الإسلام .. الشهادة ، والصلاة ، والصوم ، والحج ومن ثم أنكروا الزكاة . وكانت فتنة عارمة ومحنة قاسية ، جعلت بعض الصحابة يقول لأبي بكر ﷺ : يا خليفة رسول الله ﷺ لا طاقة لك بحرب العرب جميعاً ، الزم بيتك ، وأغلق بابك ، واعبد ربك ، حتى يأتيك اليقين .

ولكن أبا بكر الرجل الرقيق البكاء أبقى أن يستسلم ، وثبت كالطود ، وزأر كالنليث ، وجهر أحد عشر جيشاً لحرب المرتدين ، ومانعي الزكاة ، ولما ناقشه عمر ﷺ في مقاتلة مانعي الزكاة . مذكراً بقول النبي ﷺ : " أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : " لا إله إلا الله ، فإذا قالوها فقد عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله " .

وهنا قال له أبو بكر في يقين وقوة .. : " والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ، فإن الزكاة حق المال . والله لو منعوني " عناقاً " ^(٢) ، وفي رواية " عقلاً " ^(٣) ، كانوا يؤدونه لرسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه " .

(١) كذاب ربيعة : مسيلمة الكذاب .. وصادق مضر : رسول الله ﷺ .

(٢) العناق : العزة الصعرة .

(٣) العقال : ما يعقل به الحيوان المستأنس - عقال بعير .. أو عقال فرس .

وكانت معارك قاسية طاحنة بين جيل الصحابة المتميز عن الناس جميعاً السابقين واللاحقين وعلى قتلهم ، وبين المرتدين ومانعي الزكاة على كثرتهم ، انتهت بانتصار المؤمنين على المارقين الذين رجعوا إلى حظيرة الإسلام تائبين مستغفرين ، مكفرين عن ردتهم ، بالانضمام إلى صفوف المجاهدين (طليحة الأسدي ، وسجاح) في قتال فارس والروم . وكانوا من أعظم الناس بلاء فيه يعرضون عما بدر منهم في حق الإسلام وقتل كل من " الأسود العنسي بيد بعضاً من قومه ومؤيديه ، ومسيلمة الكذاب بعد حرب ضروس شديدة بيد وحشي الذي قتل الحمزة رضي الله عنه في أحد ، وقال وحشي : لقد قتلت خير خلق الله وشر خلق الله " وعاد العرب إلى رشدهم لتصبح جزيرة العرب حصناً ، ومعقلاً للإسلام على امتداد القرون^(١) .

وتجدد الإشارة إلى الحروب الصليبية وحروب التتار والمغول ، وما في تلك المعارك من عبر ونصر من الله جل وعلا نصر به جنده عندما عادوا إلى هداه وتمسكوا بكتابه وعملوا بموجبه فكان النصر حليفهم .. على أعدائهم الذين اجتاحتهم أرض المسلمين ، وقتلوا ما قتلوا وخربوا ما خربوا لكنهم " التتار والمغول " دخلوا الإسلام بعد ذلك وقام المغول بنشر الحضارة الإسلامية في الهند عندما حكموها من أعلاها إلى أدناها وأقاموا حكماً إسلامياً ما هنتوا به حتى استأذنوا الخليفة العباسي الذي أقام في القاهرة بعد أن دمروا الخلافة العباسية واستباحوا عاصمة العباسيين بغداد في أعنف ما تعامل به البشر قبل دخولهم في الإسلام^(٢) .

ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم الكثير الكثير مما سيحل بأمة الإسلام : « خَيْرُ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ » وحوت كتب الحديث والسيرة أحاديث الفتن ، وحذيفة بن اليمان رضي الله عنه كان له الباع الكبير فيما ورد من هذه الأحاديث ، وقد فسر رضي الله عنه ذلك بقوله : كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير ، وأسأله عن الشر مخافة أن أصل أو أميش حتى يقع . وعرف حذيفة رضي الله عنه بحفاظ سر رسول الله صلى الله عليه وسلم فله أفضى النبي بأسماء المنافقين الذين أرادوا قتله وهو عائد من غزوة تبوك وكانت المؤامرة أن يخرج هؤلاء ، وحين يصبح الرسول على شفا جرف فيدفعوا فرسه وهو عليها فيهبوي في الوادي . وكشف الله تعالى للنبي هذه المؤامرة ، وأسر بأسمائهم لحذيفة . وحفظ حذيفة الكثير من أسرارهم ، وكان حافظاً للسر ، مؤتمناً على ما أمته رسول الله صلى الله عليه وسلم .

إذا شك عمر رضي الله عنه بسلوك مسلم وعمله بعمل أهل النفاق ، ثم مات ، فإنه لا يصلي عليه حتى يصلي عليه حذيفة رضي الله عنه فإن صلى ، فإن عمر يصلي عليه وبذلك فإن الكثير من الأحاديث قد

(١) راجع من أجل ذلك مختصراً " المبشرات بانتشار الإسلام - الدكتور يوسف القرضاوي وكتب السيرة والمعتمدة والتاريخ الإسلامي في توسع وحوادث نيرة ساطعة .

(٢) انظر من أجل ذلك سيرة فيروز شاه أحد حكام الهند المسلمين .

وردت على حذيفة بن اليمان ، بعضها قد وقع وبعضها تأخر حصوله ، وبعضها مازال ينتظر آخر الزمان ، وظهور الدجال ، وقيام المهدي ، ونزول المسيح عليه السلام . وقد أخذت هذه الدراسات الكثير من أوقات بعض المفكرين ، وشغلتهم عن كثير من أمور حياتهم ، وحتى قيامهم بالجهاد ، بانتظار قيام الساعة ، وظهور علاماتها الكبرى والصغرى ، وحتى أن بعضاً منهم قد عين مواعيد محددة قادمة .. ولا يعلم الغيب إلا الله ، فكانت الخائبة . إن كثيراً من أقوال الرسول ﷺ قد حدثت .. وحدثت .. وستحدث ، فإنه ﷺ في أول حديث ذكرناه ، طويت لي الأرض .. إلى آخر الحديث لهُ برهان على صدق المصطفى ﷺ ، وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى .

إن ذكر بعض هذه الأحاديث وفي بعض البعض ضعف ظاهر ، سنتجاوز عنه إلى ما كان صحيحاً أو حسناً .. مما أطلع النبي ﷺ أصحابه عليه ليعلموا بدورهم جتود هذه الأمة التي هي خير أمة أخرجت للناس ، ويذهب حيثها وهي في مجالات معينة تشبه الأمم الأخرى ، ولنعلم أن تميزها هو ثباتها على الإيمان المطلق بالله وتوحيده بصفاته وأسمائه وألوهيته وربوبيته ، حتى لا يختلط الأمر على الناس ، فيردون هذه الأمة موارد الترددي التي أدت إلى إفناء الأمم السابقة واللاحقة ، ولكن أمة محمد قد تجاوزت هذه الفتن ، وتخطت تلك الاختلافات ، وأفرزت للخير جنساً ، وخرج من ضئصتها الكثير من الدجالين والأدعياء ؛ الذين تغطوا بغطاء الإيمان والإسلام والانتساب ، وحتى الادعاء بالنبوة والألوهية والمهدية وغير ذلك . إن ذكر بعض هذه الأحاديث والعودة لاستذكار مواقف ومواقع دلت عليها إنما هو من باب الحديث المطلق عن الناس ؛ وطبيعة الناس ، وفتنة الناس - المؤمنون منهم والكافرون - والأمر الذي يجب ألا يغيب عن البال هو أن أمة الإسلام من أقل وأندر الأمم في الدنيا سابقاً وحالياً ولاحقاً انكفاءً عن الدين وخروجاً عن الملة ، ولقد بينا فيما سبق في فتنة تحيط بالأمة الآن في أي بقعة وجدت بأنها رغم كل الدراسات في جوانب التخلف والانهزام والعداوة والحصام فإن الإيمان بالله وحده - حسب إرادته ومشيبته - ليس إلا في هذه الأمة ، وقول المعروف والأمر به ، والنهي عن المنكر مازال في أول أوليات المسلمين في كل مكان في الدنيا ، ودليل هذا ثبات أكثر الأمة على الإيمان وأخلاق الإسلام ، وطاعة الرسول ﷺ والتمسك بالقرآن ونشره - بمختلف الأشكال وحفظه وتداوله ، وترجمة معانيه وكثرة حفاظه ، في أمر يختلف كلية عن كل ما تحصل لدى الشعوب الأخيرة ، القادمة من النصرانية ، والقادمة من اليهودية أو الوثنية ، فإن أمر المسلمين مازال - بضعفه - العامل الأكثر جذباً لدخول الناس فيه ، والإقدام عليه . وبعد أن وصل الناس وكثير من الناس إلى حالة التملص التام من أي معتقد وذلك لعدم القناعات في تلك المعتقدات ، تحول هؤلاء إلى الإسلام . ودخلوا فيه بمجرد معرفة القليل عنه

ونخيل القارئ إلى قصص الذين أسلموا من علية القوم ، وأكابر معتنقي المذاهب الأخرى والذين تحولوا إلى دعاة وبناء هذا الدين .

وهذه بعض أحاديث رسول الله ﷺ فيما سيصيب أمته خاصة ، والناس عامة في المستقبل . بعضها وقع وبعضها واقع وبعضها سيقع .

قال ﷺ : " لن تغني أمتي حتى يظهر فيها التمايز والتمايل والمصامع ؛ قيل : يا رسول الله ! ما التمايز ؟ قال : عصبية يحدتها الناس بعدي في الإسلام ؛ قال : فما التمايل ؟ قال : تميل القبيلة على القبيلة فتستحل حرماتها ؛ قيل : فما المصامع ؟ قال : سير الأمصار بعضها إلى بعض حتى تختلف أعناقهم في الحرب " (١) .

قال ﷺ عن عوف بن مالك : " كيف أنت يا عوف إذا افتقرت هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة ؛ واحدة منها في الجنة وسائرهن في النار ؟ قلت : ومتى ذلك يا رسول الله ؟ قال : إذا كثرت الشرط ، وملكت الإماء ، وقعدت الجملاء (٢) على المنابر ، واتخذ القرآن مزامير وزخرفت المساجد ، ورفعت المنابر ، واتخذ الفياء دولاً ، والزكاة مفرجاً ، والأمانة مغنماً ، وتفقه في الدين لغير الله ، وأطاع الرجل امرأته ، وعق أمه ، وأقصى أباه ولعن آخر هذه الأمة أولها ، وساد القبيلة فاسقهم ، وكان زعيم القوم أردلهم وأكرم الرجل اتقاء شره ، فيومئذ يكون ذلك فيه . يفرع الناس يومئذ إلى الشام وإلى مدينة يقال لها (دمشق) من خير مدن الشام ، فتحصنهم من عدوهم ، قيل : وهل تفتح الشام ؟ قال : نعم وشيكاً (٣) ، ثم تقع الفتن بعد فتحها ، ثم نجىء فتنة غبراء مظلمة ثم تتبع الفتن بعضها بعضاً ، حتى يخرج الرجل من أهل بيته ، يقال له المهدي ، فإن أدركته فاتبعه ، وكن من المهتدين " (٤) .

– عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ : " يأتي على الناس زمان يستخفي المؤمن فيهم كما يستخفي المنافق فيكم اليوم " (٥) .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " إنه سيصيب أمتي داء الأمم الأشهر والبطر والتكاثر والتنافس في الدنيا والتباغض والتحاسد حتى يكون البغي ثم يكون الهرج " (٦) .

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک کتاب الفتن والملاحم ٥٢٤/٤ ، وقال : صحيح الإسناد وتعقب عن حذيفة ، نعيم بن حماد في الفتن عن أبي هريرة . قال الذهبي : فيه سعيد بن سنان منهم به .

(٢) ومنه حديث فضاله : كيف أنتم إذا قعد الجملاء على المنابر يفضون بموى ويقتلون بالفضب " الجملاء : الضخام الخلق .

(٣) لم يمض على وفاة الرسول ﷺ أربع سنوات إلا وفتحت دمشق ، أما أرض الشام فقد فتحت قبل ذلك ، وتعتبر معركة اليرموك بداية النهاية لحكم الروم في الشام .

(٤) الفيتي في المجمع (٧ / ٢٢٣ ، ٣٢٤) وقال : " رواد الطبراني ، وفيه عبد الحميد بن إبراهيم وثقه ابن حبان وهو ضعيف " .

(٥) رواد ابن السني .

(٦) رواد ابن أبي الدنيا ، وابن النجار .

- وفي تصوير هذه الأمة في أيام العسرة والفتن :

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " أنتم أشبه ببني إسرائيل : لتسركبن طريقتهن حذو القعدة ^(١) بالقدة حتى لا يكون فيهم شيء إلا كان فيكم مثله حتى أن القوم لتمر عليهم المرأة فيقوم إليها فيجامعها ثم يرجع إلى أصحابه يضحك إليهم ، ويضحكون إليه " ^(٢).

- عن شداد بن أوس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " ليحملن شرار هذه الأمة على سنن الذين خلوا من قبلهم من أهل الكتاب حذو القعدة بالقعدة " ^(٣).

- عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " إن الله تعالى بعثني إلى كل أحر وأسود ، ونصرت بالرعب ، وأحل لي المغنم ، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ، وأعطيتُ الشفاعة للمذنبين من أمي يوم القيامة " ^(٤).

- عن أبي إمامة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " إن الله تعالى فضلي على الأنبياء بأربع : أرسلني إلى الناس كافة ، وجعل الأرض كلها لي ولأمي طهوراً ومسجداً ، فأينما أدرك رجل من أمي الصلاة فعنده مسجده وعنده طهوره ، ونصري بالرعب مسيرة شهر ، وأحل لي الغنائم " ^(٥).

- عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " إن ربي استشارني في أمي ماذا أفعل بهم ؟ فقلت : ما شئت يا رب هم خلقك وعبادك ، فاستشارني الثانية ، فقلت له كذلك ، فاستشارني الثالثة ، فقلت له كذلك ، فقال تعالى : إني لن أخزيك في أمتك يا أحمد . وبشرني أن أول من يدخل الجنة معي من أمي سبعون ألفاً مع كل ألف سبعون ألف سبعون ألفاً ليس عليهم حساب ، ثم أرسل إلي : ادعُ تُحِبَّ ، وسل تعطى فقلت لرسوله : أو معطي ربي تعالى سؤالي ؟ قال : ما أرسل إليك إلا ليعطيك ولقد أعطاني من غير فخر ، غفر لي ما تقدم من ذنبي وما تأخر وأنا أمشي حياً صحيحاً ، وأعطاني ألا تجوع أمي ولا تغلب ، وأعطاني الكوثر نهرأ في الجنة يسيل في حوضي ، وأعطاني القوة والنصر والرعب يسعى بين يدي شهراً ، وأعطاني أني أول الأنبياء دخولاً الجنة ، وطيب لي ولأمي الغنيمة ، وأحل لنا كثيراً مما شدد على من كان قبلنا ، ولم يجعل علينا في الدين من حرج ، فلم أجد لي شكراً إلا هذه السجدة " ^(٦) .

(١) القعدة : القبة وزان حمل : السير ينحصر به النعل والقعدة : الطريقة والغرفة من الناس والجمع قدد مثل : سدره وسدر .

(٢) الطبراني في الكبير ٤٧/١٠ (٩٨٨٢) ، وقال الهيثمي في الجمع ٢٦٤/٧ : " فيه من لم أعرفه " .

(٣) أحمد ١٢٥/٤ ، وقال الهيثمي في الجمع ٢٦٤/٧ : " رجاله مختلف فيهم " .

(٤) ابن عساکر ٣٥٦/٤ .

(٥) الترمذي (١٥٣٣) وقال : " حسن صحيح " .

(٦) أحمد ٣٩٣/٥ ، وقال الهيثمي في الجمع ٧٢/١٠ : " إسناده حسن " .

- وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " لما أسري بي إلى السماء ، قرئني ربي تعالى حتى كان بيني وبينه تعالى كقاب قوسين أو أدنى بل أدنى . قال : يا حبيبي ! يا محمد ! قلت : لبيك يا رب ! قال : هل غمك أن جعلتك آخر النبيين ؟ قلت : يا رب ! لا .. قال : حبيبي هل غم أمتك أن جعلتهم آخر الأمم ؟ قلت : يا رب ! لا .. قال : أبلغ أمتك السلام وأحسبهم أي جعلتهم آخر الأمم لأفضح الأمم عندهم ، ولا أفضحهم عند الأمم ^(١) .

- عن عمرو بن قيس قال : قال رسول الله ﷺ : " إن الله أدرك بي في الأجل المرجو واختارني اختياراً ، فنحن الآخرون ، ونحن السابقون يوم القيامة . وإني قائل قولاً غير فخر : إبراهيم خليل الله ، وموسى صفي الله ، وأنا حبيب الله ، ومعني لواء الحمد يوم القيامة . وإن الله وعسدي في أمي وأجارهم في ثلاث : لا يفنيهم بسنة ، ولا يستأصلهم عدو ، ولا يجمعهم في ضلاله ^(٢) . "

وتبقى أمة الإسلام أمة الجهاد ، أمة الخير ، أمة العبادة ، أمة السيادة في الدنيا والآخرة بعيدة عن الفواحش والمشاكل التافهة والملاذات الجسدية والجنسية ، وكل ما يهبط بالإنسان من إنسانية إلى ما هو أدنى منها .

- عن أبي أمامة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " إن الله عز وجل بعثني رحمة للعالمين ، وهدى للعالمين ، وأمرني ربي بمحقق المعازف والمزامير والأوثان والصلب ، وأمر الجاهلية ، وحلف ربي بعزته وجلاله لا يشرب عبدٌ من عبادي جرعة من خمر متعمداً في الدنيا ؛ إلا سقيته مثلها من الصيد يوم القيامة مغفوراً له أو معذباً ، ولا يسقيها صبياً صغيراً مسلماً متعمداً إلا سقيته من الصيد مثلها يوم القيامة مغفوراً له أو معذباً ، ولا يتركها من مخافتني إلا سقيته إياها في حظيرة القدس يوم القيامة ، ولا يحل بيع المغنيات ولا شراؤهن ، ولا التجارة فيهن ، وأثمأنهن ؟ حرام والاستماع إليهن " ^(٣) .

- عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " فضلنا على الناس بأربع خلال : جعلت لنا الأرض مسجداً وتراًها طهوراً ، وإن صفوفنا في صلاتنا كصفوف الملائكة ، وهدانا الله ليوم الجمعة ، وضلت عنه اليهود والنصارى ، وأتيت الآيات من خاتمة سورة البقرة من كثر تحت العرش لم يؤقن أحد قبلي ، ولا يؤتاهن أحدٌ بعدي " ^(٤) .

(١) الدر المنثور ٤/ ١٥٨ ، وكتر العمال (٣٢١١١) .

(٢) رواد الدارمي ٢٩/١ .

(٣) أحمد ٣/ ٢٦٨ ، والطبراني في الكبير ٨/ ٢٣٢ .

(٤) كتر العمال (٣١٠٧٤) .

- وعن علي بن أبي طالب عليه السلام وأبي ذر الغفاري وجابر وابن عباس ، وابن عمر وأبي موسى الأشعري ، وعن عمر بن شعيب عن أبيه عن جده .. وروايات أخرى رضي الله عنهم أجمعين . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - واللفظ لأحمد : " أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي . بعثت إلى الأحمر والأسود ، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي ، ونصرت بالرعب فیرعب العدو مني وهو مني مسيرة شهر ، وقيل لي : سل تعطى ، فاخترت دعوتي شفاعاً لأمتي وهي نائلة منكم إن شاء الله تعالى من لقي الله عز وجل لا يشرك بي شيئاً " ^(١) .

- عن أبي أمامة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لما بلغ ولد معد بن عدنان أربعين رجلاً وقعوا على عسكر موسى - عليه السلام - فدعا عليهم موسى قال : يا رب هؤلاء ولد معد قد أغاروا على عسكري ! فأوحى الله إليهم : يا موسى ! لا تدعو عليهم ، فإن منهم النبي الأمي نوحی ، ومنهم الأمة المرحومة ، أمة محمد ، الذين يرضون من الله باليسير من الرزق ، ويرضى الله منهم بالقليل من العمل فيدخلهم الجنة بقول لا إله إلا الله ، لأن فيهم نبيهم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، المتواضع في هيئته ، المحتجم له اللب في سكوته ، ينطق بالحكمة ويستعمل الحكم أخرجته من خير جبل من أمته قريشاً ، ثم أخرجته من بني هاشم صفوة قريش ، منهم خير من خير يصير هو وأمه إلى خير يصيرون " ^(٢) .

- بشر وأذر رضي الله عنهما فهو البشير والنذير . فكما تكلم عن مكارم أمة الإسلام وخيريتها ، تحدث صلى الله عليه وسلم عن الفتن وما يؤول إليه الناس في حال تركهم هذا الدين وهجرهم القرآن ، وطاعة أهل الكتاب ، والأخذ بأراء الكافرين والمشركين ، ولقد صدق صلى الله عليه وسلم فيما ذكرنا من أحاديثه ، وفيما لم نذكر ؛ بالتحدث عن مستقبل الأمة ومستقبل الإنسانية عموماً ، وقد حصل ما حصل ، ويحصل ما يحصل ، وسيحصل ما أنبأ عنه صلى الله عليه وسلم .

- عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من أحب أن يسأل عن شيء فليسأل عنه ، فو الله لا تسألوني عن شيء إلا أخبرتكم به ما دُمت في مقامي هذا ، والذي نفسي بيده ! لقد عرضت علي الجنة والنار أنفاً في عرض هذا الحائط ، وأنا أصلي ، فلم أر كاليوم في الخسر والشّر " ^(٣) .

(١) رواه أحمد ٢٥٠/١ ، وقال الشيخ أحمد شاكر (٢٢٥٩) : " إسناده صحيح " .

(٢) رواه الطبراني في الكبير ١٦٥/٨ (٧٦٢٩) ، وجمع الزوائد للهيتمي ٢٢١ / ٨ .

(٣) أخرجه البخاري (٥٤٠) ، ومسلم (١٣٦ / ٢٣٥٩) .

وتأكيداً لخيرية هذه الأمة ، ورفعاً هذه الأمة ، ووسطيتها ، وثباتها على إيمانها واستمرارها إلى يوم يعثون ، أحاديث أخبر بها النبي ﷺ مزيداً في أوصاف الأمة وتوضيحاً لما لها من الفضل على سائر الأمم ، ولما لها من الميزات التي لم تعط غيرها من أتباع الأنبياء .

- عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " صفتي أحمد المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ، يجزي بالحسنة الحسنة ، ولا يكافئ بالسيئة ، مولده بمكة ومهاجره طيبة ، وأمه الحامدون ، يأترون على أنصافهم ، ويوضئون أطرافهم ، أناجيلهم في صدورهم ، يُصَفون للصلاة كما يصفون للقتال ، قربانهم الذي يتقربون به إليّ دماؤهم ، رهبان بالليل ، ليوث بالنهار " ^(١) .

بين رسول الله ﷺ في هذا الحديث بعض صفاته ، وصفات أمته التي أرسل إليها ، فأمنت به ، وصدقته ، وحملت رسالته إلى الآفاق ، رسول إلى البشر جميعاً مستثنى من جميع الرسالات ، وأمته من جميع أنواع البشر ، وسطية العيش ، مجاهدة في سبيل الله لخلاص الناس من الظلمات إلى النور ، عابدة لله تعالى في ليلها ونهارها ، مقدمة أرواحها ودماءها قرباناً إلى الله تعالى لئيل مرضاته ، وللفوز بجناته ، ولئيل شفاعة المشفع من الله تعالى لأمة الإسلام .. هذه هي التي أرادها الله تعالى لتكون خير أمة أخرجت للناس وكانت كما أرادها ربها جل وعلا ، وكما ربها نبيا ﷺ .

(١) رواه الطبراني في الكبير ١٠/١٠٩ (١٠٠٤٦) ، ومجمع الزوائد للهيتمي ٢٧٤/٨ .